

تنمية التفكير النقدي لدى المتعلم:

مرجعياته واستراتيجياته

د. هشام حوزي

دكتوراه في اللسانيات

جامعة محمد الأول بوجدة

المغرب

الملخص

يتغيث هذا المقال تسليط الضوء على الأهمية التي بات يحظى بها التفكير النقدي لدى المتعلم في النظام التربوي المغربي، الذي حرص منذ تفعيل الميثاق الوطني للتربية والتكوين، وتبني المقاربة بالكفايات، مروراً بالكتاب الأبيض، والبرنامج الاستعجالي، والرؤية الاستراتيجية، والقانون الإطار، وصولاً إلى النموذج التنموي الجديد- على تعزيز التفكير المستقل والروح النقدية، وتطوير مهارات حل المشكلات، وتنمية الجوانب الاستدلالية والمنهجية...ذلك كله بهدف إعداد جيل قادرٍ على مواجهة تحديات العصر ومتغيراته، متمكنٍ من الرقي بنفسه وبمجتمعه في مختلف المجالات. كما وقف المقال عند أربع استراتيجيات عملية ومتفاعلة فيما بينها (الوضعية-المشكل، الأسئلة الهادفة، الاستنباط والاستقراء، الانتباه والتركيز)، موضحاً أهميتها في تنمية التفكير النقدي لدى المتعلم.

الكلمات المفتاحية:

المتعلم - التفكير النقدي - الاستراتيجيات - الوضعية - المشكل - الأسئلة الهادفة - الاستقراء - الاستنباط - الانتباه والتركيز.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

حوزي، هشام. (2025، يناير). تنمية التفكير النقدي لدى المتعلم: مرجعياته واستراتيجياته. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، العدد 1، المجلد 2، السنة 2، ص 369-389.

توطئة:

لقد حدث الله تعالى، في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، على استخدام العقل، والتفكير في آياته الكونية، بلوغ حكمته وإدراك عظمته، وفهم الحياتين على حقيقتها، من ذلك قوله عز وجل: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾¹، ﴿فَاقْصِصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾²، ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾³، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾⁴...وعليه، فإنَّ للقرآن الكريم فضلا عظيما في الدعوة إلى التفكير وتشغيل العقل، والتأمل في الحقائق، والتدبر في الخلق، دون الخضوع للمعتقدات والعادات المتوارثة، مما يعزز قدرة المسلم على التمييز بين الأشياء والحكم عليها...وهي أمور تدخل ضمن مفهوم التفكير النقدي، الذي ينبغي أن يتحلى به الإنسان المخلوق المكرم بالعقل، ويثبت عليه.

تعد تنمية التفكير النقدي لدى المتعلم من أبرز الأهداف التي تنغيها منظومات التربية والتكوين والتعليم في الألفية الثالثة. إذ بات هذا النمط من التفكير يشكل حجر الزاوية في تعزيز قدرة الأفراد (تلامذة، طلاب، متدربين...) على التفاعل مع التحديات المعرفية والعملية التي يواجهونها داخل فضاء الحياة المدرسية وخارجها. وهو ما يعني أنه في ظل المتغيرات السريعة التي يشهدها العالم اليوم على مختلف الأصعدة، ينبجس التفكير النقدي باعتباره أداة ناجعة لتحقيق التكيف مع هذه المتغيرات ومواكبة التطورات المتسارعة.

وهكذا، تكمن أهمية التفكير النقدي في كونه آلية لا تقتصر على اكتساب المعرفة بمفهومها العام فقط، بل تتعدى ذلك إلى البحث عن حلول إبداعية للمشكلات المعقدة وتحليل المعلومات والمعطيات وغيرها، بشكل منظم وعميق، ومن ثم يصبح المتعلم القادر على ممارسة التفكير النقدي قادرا على التمييز بين الحقائق والآراء، والمقارنة بين الحلول المختلفة للمشاكل، بل وتحدي الأفكار الرائجة والمعتقدات السائدة التي تبدو غير متأسكة الأجزاء.

إن تنمية مهارات التفكير النقدي لدى المتعلمين في مختلف المراحل التعليمية (ابتدائي...جامعي) تعدُّ من أساسيات بناء الإنسان القادر على إحداث تغيير إيجابي في مجتمعه. إن هذا النمط من التفكير يُقدِّر المتعلم على تحليل الأفكار والمواقف والظواهر الاجتماعية بطريقة عقلانية ومنهجية، كما يسهم في تطوير شخصيته ليكون أكثر استقلاليَّة وموضوعية في اتخاذ القرارات المناسبة، إلى جانب تأديته دورا محوريا في مواجهة التحديات

1- آل عمران: 191.

2- الأعراف: 176.

3- يونس: 24.

4- طه: 54.

الطارئة في بيئات العمل المختلفة، حيث تتطلب الوظائف الحديثة مهارات تفكير نقدي عالية، تمكن من الابتكار وتحليل البيانات ووضع الاستراتيجيات وتخمين التوقعات واتخاذ القرارات الصائبة.

ومع تزايد الاعتماد على التكنولوجيا في مختلف جوانب الحياة، أصبح من الضروري تدريب المتعلمين على استخدام التفكير النقدي في التعامل مع المعلومات الرقمية المتاحة في هذا العصر الذي تشهد فيه وسائل التواصل الاجتماعي والثورة الرقمية انتشارا واسعا للمعلومات المضللة والشائعات، إذ يصبح التفكير النقدي ضرورة ملحة لفهم وتحليل الأخبار والمحتوى الرقمي بطريقة عقلانية وواعية.

مهما يكن، فإن الأنظمة التعليمية تسعى سعيا حثيثا إلى دمج أساليب التعليم التي تُحفّز على التفكير النقدي، مثل التعلم القائم على المشروعات وحل المشكلات، بحيث يوفر المدرس بيئة تعليمية تشجع على التساؤل والاستفهام وطرح الإشكالات والمناقشة البتاءة، كما أن تطوير مهارات التفكير النقدي لدى المتعلم لا يعتمد على المناهج الدراسية فقط، بل يتطلب أيضا مشاركة فعالة من جميع الأطراف المعنية في العملية التعليمية (مدرسين، أسر، مؤسسات تعليمية...).

يحاول هذا المقال إبراز الأهمية التي بات يحظى بها التفكير النقدي في منظومتنا التربوية التي شهدت ومازالت تشهد جملة من الإصلاحات الجوهرية، التي تمس المدرسة ومن فيها (المدرس، المتعلم)¹، وذلك من خلال المحاور الآتية:

- مفهوم التفكير النقدي؛
- الأطر المرجعية للتفكير النقدي؛
- استراتيجيات تنمية التفكير النقدي.

1- تعريف التفكير النقدي:

لا شك أن التفكير النقدي يدخل ضمن المنطق غير الصوري، لكونه يعتمد على تقييم الأفكار والمعلومات بناءً على صحتها ومنطقيتها في سياقات معينة، بدلا من التركيز على البنية الصارمة للحجج فحسب، كما هو الشأن في المنطق الصوري. إنه يقترن بالتحليل والتقييم العقلاني للأفكار والآراء والنقد المنطقي لها، كما يتعامل مع التفكير والنقد بصورة أكثر مرونة، حيث يركز على السياق والظروف، إلى جانب أخذه بعين الاعتبار العناصر النفسية والاجتماعية وغيرها، بينما المنطق الصوري يركز على التركيبات والتفسيرات الشكلية للقضايا،

¹ - نصّت خارطة الطريق على العناية بالتلميذ (تلاميذ متفتحون متحكمون في التعلم الأساس) والمدرس (مدرسون متمكنون، يحظون بالتقدير) والمؤسسة التعليمية (توفر فضاء آمنا، تسودها روح التعاون بين الفاعلين) من خلال اثني عشر التزاما. ينظر: خارطة الطريق 2022-2026، ص: 14 وما بعدها.

وفقا لقواعد معينة، إنه يسهم في تحديد العلاقة بين المقدمات والنتائج بناء على الشكل البسيط. ولذلك فإن "عمل المنطق الصوري هو أن يقدم لنا القواعد التي نحتاج إليها لكي يكون الاستدلال صحيحا من الناحية المنطقية"¹.

إنه من الصعب تقديم تعريف دقيق للتفكير النقدي يكون موضوع إجماع، إلا أن ذلك لا يعني العجز عن حصر عناصر بنيته المفهومية. فقد اعتبر جون ديوي أن "التفكير في أفضل معانيه هو ذلك التفكير الذي يأخذ بعين الاعتبار الأسس والنتائج المترتبة عن المعتقدات"². وقد حُدَّ على أنه "تدفق للنشاط من منطقة إلى أخرى على سطح الذاكرة، وعملية نفسية ذات طبيعة اجتماعية تتصل اتصالا وثيقا بالكلام، تستهدف التنقيب والكشف عما هو جوهري في الأشياء وفي الظواهر، أي أنه الانعكاس غير المباشر والمعمَّم للواقع من خلال تحليله وتركيبه"³.

يستشف من هذا الحدّ، أن التفكير ليس عملية ثابتة بل هو حركة وتدفق مستمران من فكرة إلى فكرة، أي أن المرء أثناء التفكير ينتقل من فكرة إلى أخرى بناء على ارتباطات أو تجارب سابقة مخزنة في الذاكرة. كما يعني أن التفكير ليس مجرد نشاط فردي ذاتي فحسب، بل يقترن بالنشاط الاجتماعي أيضا، حيث إنه يتأثر بالتواصل مع الآخرين، الذين من خلالهم أو من خلال الاحتكاك بهم تتشكل أفكارنا. إلى جانب ذلك فإن التفكير يسعى إلى اكتشاف كل ما هو جوهري في الظواهر والأشياء التي نراها من حولنا. ومن جهة أخرى فإنه انعكاس غير مباشر للواقع، إذ يعتمد على تحليله وتركيبه، أي أننا نأخذ الواقع ونعيد تشكيله وفهمه عبر عمليات تحليلية، حتى تتمكن من أن نصبح قادرين على فهمه بشكل أعمق وأوضح.

أما التفكير النقدي فهو "التفكير الذي يقوم على التقييم الدقيق للمقدمات والأدلة ويتدرج بطريقة موضوعية إلى النتائج الصحيحة، بعد درس جميع العوامل التي تمثّل إلى الموضوع بصلة واستخدام أساليب المنطق الصحيحة"⁴. وهو ما يعني أنه عملية عقلية، تهدف إلى تحليل المعلومات بطريقة دقيقة ومنهجية بهدف الوصول إلى استنتاجات صحيحة، حيث يتغيّر هذا النوع من التفكير فحَص الأدلة والمقدمات بشكل عميق، مع مراعاة جميع العوامل التي قد تؤثر في الموضوع، وتقييمها بشكل منطقي وموضوعي. كما يعتمد هذا التفكير على

¹ المنطق الصوري: من أرسطو حتى عصورنا الحاضرة، علي سامي النشار، دار المعارف، ط4: 1966، ص: 16.

² How We Think. John Dewey. D.C. Heath. Publishers. Boston New York Chicago. 1910. p5.

³ Dictionnaire Terminologique Unifié Des programmes scolaires et des Méthodes d' Enseignement. Organisation Arabe pour l'Education la Culture Et les sciences. Bureau Of Coordination Of Arabization-Rabat. Serie 44.2020.p136.

⁴ معجم مصطلحات التربية والتعليم، محمد حمدان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ط1: 1428هـ/2007م، ص: 47.

جملة من الأساليب المنطقية الصحيحة، مما يمكن من اتخاذ قرارات واعية ومدروسة بناء على فحص شامل لجميع المعطيات.

وقد عرّفه جون ديوي على أنه: "إمعان النظر الدؤوب والمستمر والدقيق لأي معتقد أو شكل مفترض من أشكال المعرفة، في ضوء المسوّغات التي تدعمه والاستنتاجات الإضافية التي يُفرضي إليها"¹. وهو ما يعني أن التفكير النقدي ليس مجرد فحص عابر أو سطحي للأفكار أو المعتقدات، بل هو عملية مستمرة ودقيقة تتطلب التحصيل والتفكير العميق، أي أن الشخص يجب أن يكون دائماً متأملاً في أفكاره وأفكار غيره. كما يوضح التعريف أن التفكير النقدي يمكن أن يطبق على أي نوع من المعتقدات أو المعرفة، سواء كانت علمية، أم دينية، أم فلسفية... إذ إن الشخص الذي يفكر بشكل نقدي لا يقبل المعرفة أو المعتقدات كما هي، بل يضع الأسئلة، ويبحث عن أوجه القصور والضعف فيها، للوصول إلى استنتاجات جديدة أو بدائل قد تكون منطقية أكثر.

كما حدّه إدوارد جليسر على أنه "النزعة إلى التفكير المتعمق في المشكلات والموضوعات التي تقع في نطاق تجارب الفرد، ومعرفة طرق الاستقصاء المنطقي والاستنتاج والتحلي بقدر من المهارة في تطبيق هذه الطرق"². مما يعني أن التفكير النقدي هو القدرة على التفكير بعمق عند مواجهة المشكلات والمواضيع التي ترتبط بتجارب الفرد، كما يشمل القدرة على استخدام طرق الاستقصاء المنطقي، كجمع المعلومات والعمل على تحليلها، بالإضافة إلى ذلك، فهو يشمل تطوير المهارات اللازمة لاستخدام هذه الطرق بكفاءة عند التعامل مع مختلف القضايا أو المشكلات. مهما يكن، فإن التفكير النقدي، وفّق تصوّر جليسر، يتطلب التحصيل والتفكير المستقل والقدرة على تحليل الأمور من زوايا متعددة باستخدام منطق واستدلال قويين.

مهما يكن، فإن التفكير النقدي³ "هو مجموعة واسعة من المهارات المعرفية والمواقف الفكرية اللازمة لتحديد وتحليل وتقييم الحجج والادّعاءات الحقيقية بشكل فعال"⁴. ونعني به في هذا المقال قدرة المتعلم على تحليل المعلومات والمعطيات والأفكار والآراء والمعتقدات... وفحصها بموضوعية وعمق، بدل قبولها كما هي، والقدرة أيضاً على وضع الأسئلة المناسبة، وصياغة الفرضيات، والاستدلال على مدى صحتها، والاستقلالية في التفكير،

¹ التفكير النقدي، جوناثان هابر، ترجمة إبراهيم سند أحمد، سلسلة المعارف الأساسية، الناشر مؤسسة هنداي، ط1: 2022، ص: 76.

² المصدر نفسه، ص: 76.

³ التفكير النقدي ثلاثة أصناف: التفكير النقدي في الفصل الدراسي، التفكير النقدي في الحياة العامة، التفكير النقدي في العمل. ينظر:

Critical Thinking A Students Introduction. Gregory Bassham and others. Fourth edition. Mc Grow Hill. P7 et 8.

⁴ Logic And Critivcal Thinking. Teklay G, Adane T, And Zelalem M. August 2019. Addis Ababa, Ethiopia. p128.

بما يسهم في ارتقائه وارتقاء مجتمعه. إنه تفكير يتجاوز تلقّي المعرفة وحفظها إلى إعادة بنائها، من خلال التحليل والتفسير والاستدلال والاستنتاج والتقييم والتمييز والاستقراء والاستنباط وبناء الذات وتنظيمها.

2- الأطر المرجعية للتفكير النقدي:

تظهر هذه المرجعيات واضحة وجلية في السياسة التربوية التي ابتعتها المنظومة التربوية المغربية من خلال استحضار روح دستور المملكة (2011)، وتفعيل الميثاق الوطني للتربية والتكوين (2000)، والكتاب الأبيض (2002)، والبرنامج الاستعجالي (2009-2012)، والرؤية الاستراتيجية (2015-2030)، والقانون الإطار 17-51 (2019)، والنموذج التنموي الجديد (2021-2035)، يمكن توضيحها كما يلي:

أولاً: دستور المملكة 2011

إن الأكد أن الدستور هو أسمى وأعلى قوانين البلاد التي تنظم حياة المجتمع من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية... وتنظم اختصاصات المؤسسات الوطنية العليا فيما بينها، كما تحدد طبيعة الحكم، والانتماء الإقليمي والعالمي للمغرب، وغير ذلك.

لقد نصّ دستور المملكة في الباب الثاني المعنون بـ "الحريات والحقوق الأساسية" على ما له علاقة بالتفكير النقدي، من ذلك:¹

-الفصل 25: حرية الفكر والرأي والتعبير مكفولة بكل أشكالها.

يضمن هذا الفصل للمتعلم (تلميذ، طالب، متدرب...)، بشكل مباشر وغير مباشر، حرية التفكير والتعبير عن آرائه وأفكاره، وهو ما يعني وجود بيئة قانونية تحترم هذه الحرية، وتسمح للمتعلم بممارسة التفكير النقدي بشكل حرّ، إذ يستطيع التعبير عن رؤيته الشخصية ومناقشة آراء الآخرين، مما يعزز قدرته على التحليل والنقد والتقييم.

-الفصل 26: تدعم السلطات العمومية بالوسائل الملائمة، تنمية الإبداع الثقافي والفني، والبحث العلمي

والتقني...

يشجع هذا الفصل على الإبداع والبحث العلمي، ويؤكد على أهمية توفير الموارد والوسائل المناسبة لدعم الفكر النقدي. فهذا النمط من التفكير يتطلب بيئة تمكن المتعلم من استكشاف الأفكار الجديدة وتمحيصها بشكل منطقي وعلمي.

¹ - دستور المملكة المغربية 2011، المملكة المغربية، وزارة العدل، المركز الدراسات وأبحاث السياسة الجنائية، ص: 23 و 25 و 26.

-الفصل 31: الحصول على تعليم عصريّ ميسّر الولوج وذّي جودة.

يضمن هذا الفصل حقّ المتعلم في التعليم العصري المتطور الذي يتضمن أساليب تعليمية تعزز التفكير النقدي، تمكنه من تملك الكفايات المعرفية والعلمية والتواصلية والعاطفية والإبداعية...

-الفصل 33: تيسير ولوج الشباب للثقافة والعلم والتكنولوجيا، والفن والرياضة والأنشطة والترفيه، مع توفير الظروف المواتية لتفتح طاقاتهم الخلاقة والإبداعية في كل هذه المجالات.

يوفر هذا الفصل بيئة غنية تحفز على التفكير النقدي، إذ إن تنوّع هذه المجالات يوفر للمتعلّم فرصا لاكتساب معرفة متعددة الجوانب، مما يساعده على تطوير القدرة على التحليل والتقييم والاستدلال...وهي من خواصّ التفكير النقدي.

وهكذا، فإن هذه الفصول الأربعة على الأقل، تُسهم، بشكل مباشر وغير مباشر، في تنمية التفكير النقدي لدى المتعلم، من خلال تعزيز بيئة تعليمية وحياتية داعمة للحرية الفكرية والإبداعية. كما تشكل إطارا قانونيا وفكريا يمكنه من التفكير بحرية، والاستفادة من فرص التعليم والتكوين، وتوسيع المدارك وفتح آفاق أوسع من البحث والابتكار والإبداع.

ثانيا: الميثاق الوطني للتربية والتكوين

يعدّ الميثاق الوطني للتربية والتكوين المرجع الثابت لكلّ الإصلاحات التربوية التي تلتها، ذلك أن مبادئه الثابتة ومجالاته الستة تعدّ اللبنة التي تؤسس لمختلف التوجهات والغايات والإصلاحات التي ترمي إليها منظومتنا. ففي إطار المبادئ الثابتة¹، يدعو الميثاق إلى الاهتمام بمبادئ العقيدة الإسلامية وقيمها الرامية لتكوين المواطن المتصف بالاستقامة والاعتدال، والشغوف بطلب العلم والمعرفة في أرحب آفاقها، والمتوقد للاطلاع والإبداع. أي أن غاية الميثاق هي تكوين مواطن صالح، متشبع بالقيم الإسلامية السمحة، يسعى بشكل دؤوب إلى توسيع أفق معرفته وتطوير قدراته في مجالات الحياة جميعها.

كما يدعو، في إطار الغايات الكبرى²، إلى جعل المتعلم، بوجه عام والطفل بوجه أخص، في قلب الاهتمام والتفكير والفعل، خلال العملية التربوية التكوينية، وإلى منح الأفراد فرصة اكتساب القيم والمعارف والمهارات التي تؤهلهم للاندماج في الحياة العملية، وفرصة إظهار النبوغ كلّما أهلتهم قدراتهم واجتهاداتهم.

¹ - الميثاق الوطني للتربية والتكوين، المملكة المغربية، ص: 7.

² - المصدر نفسه، ص: 7.

لقد كشف الميثاق الوطني عن الغاية المبتغاة¹ من النظام التربوي، وهي تزويد المجتمع بصفوة من العلماء وأطر التدبير، أصحاب المقدرة على قيادة نهضة البلاد عبر مدارج التقدم العلمي والتقني والاقتصادي والثقافي. وقد ظهرت عنايته بالتفكير النقدي في بعض مجالات التجديد ودعامات التغيير، فقد حثَّ في مجال الرفع من جودة² التربية والتكوين في الدعامة الحادية عشرة "تشجيع التفوق والتجديد والبحث العلمي"³ على إقامة محافل لتكريم المتعلمين المتميزين، والتعريف بإنجازاتهم، وجعلهم قدوة ومثالا لزملائهم، إذ فتح - ابتداء من الموسم الدراسي 2001/2000 - مؤسسات الثانوي النموذجية بمقدار مؤسسة واحدة في كل جهة، تشجعا على التفوق والتميز. فلا شك في أن التفكير النقدي يعدُّ من الأسس الفاعلة في تمكين المتعلم من تحقيق التفوق والتميز، إذ يمكنه من التفكير بعمق، وحلّ المشكلات، واتخاذ القرارات المناسبة، والتفرد والتميز.

إن هذه الإشارات وغيرها تبين أنه لم يغب عن تصور الميثاق الوطني استحضار جوانب التفكير النقدي في تعليم وتكوين المتعلم المغربي، على اعتبار أنَّ حفزَ الهمم على البحث والإبداع، والرفع من جودة التربية والتعليم والتكوين والتشجيع على التفوق... ذلك كله من مظاهر تملك الملكة النقدية والروح الفكرية الخلاقة.

وتجدر الإشارة إلى أن البرنامج الاستعجالي⁴، باعتباره تكميلا واستدراكا لما نُصَّ عليه في الميثاق ولم يُستوفَ، جاء في سياق يروم استباق الزمن لتحقيق الغايات والأهداف التي سطرها الميثاق الوطني ولم يبلغها، من خلال تتين ورفع وتيرة استكمال الإصلاح، واستيعاب الدينامية الناتجة عنه. مهما يكن، فالبرنامج الاستعجالي أيضا، اتخذ من أولوياته جعل المتعلم في قلب منظومة التربية والتكوين، وجعل الدعامات الأخرى في خدمته؛ حيث سجّل المجلس الأعلى للتربية والتكوين "إيجابا اتّجاه البرنامج نحو تشجيع الامتياز عبر تدابير مجددة، من قبيل إحداث الثانويات المرجعية وثانويات التفوق ..."⁵

¹- ينظر: الميثاق الوطني للتربية والتكوين، ص: 7 و8.

²- "إذا كان نظام التربية والتكوين قد حقّق تطورا إيجابيا على مستوى التعميم، فإن جودة التربية اللازمة لنمط الحكامة والقيادة والطرق البيداغوجية وفضاءات التعليم والتعلّات وتأهيل المدرسين، تظلّ تحديا رئيسا، لهذا، فإن تحسين الجودة والتعلم، سيحتل على الأرجح مكانة أكثر من مركزية على الصعيد الوطني مستقبلا..." ينظر: التقرير التحليلي: تطبيق الميثاق الوطني للتربية والتكوين 2000-2013، المكتسبات والمعوقات والتحديات، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، الهيئة الوطنية لتقييم منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، دجنبر 2014، ص: 160.

³- ينظر: الميثاق الوطني للتربية والتكوين، ص: 38-39.

⁴- ينظر: البرنامج الاستعجالي، المملكة المغربية وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، ص: 3.

⁵- وجهت نظر المجلس الأعلى للتعليم في البرنامج الاستعجالي المقدم من قبل القطاعات المكلفة بالتربية والتكوين، المملكة المغربية، المجلس الأعلى للتعليم، أكتوبر 2008، ص: 9.

ثالثا: الرؤية الاستراتيجية

تضمنت الرؤية الاستراتيجية تصورا واضحا في شأن بناء مهارات التفكير النقدي وتعزيز القدرات التحليلية لدى المتعلم. فمن الأسس التي رفعتها -كما يظهر في شعارها- الجودة والارتقاء، ومن حيث المبادئ¹، فإن هذه الرؤية تقوم على الانخراط في مجتمع المعرفة والعلم والإبداع والابتكار والتكنولوجيات الحديثة. كما حددت وظائف المدرسة في خمس، يعيننا منها:²

- التنشئة الاجتماعية والتربية على القيم في بعدها الوطني والإنساني.

- التعليم والتعلم والتثقيف.

ومما حدّته الرؤية ونصّت عليه، في إطار الغايات المتوخاة³، بناء مواطن ذي تكوين متكامل ومتجانس بين تحصيل وبناء معارف، وامتلاك الكفايات والمهارات، وفن الحياة والعيش المشترك، وتعلم واكتساب الخبرة، والانخراط الفاعل في مجتمع المعرفة والتكنولوجيا. إذ لا يخفى ما يستلزمه مجتمع المعرفة والتكنولوجيا من امتلاك للمهارات التفكير النقدي، من أجل البحث والاستقصاء والتحليل وتقييم المعلومات بموضوعية ومنهجية وعمق. ومما سعت إليه الرؤية الاستراتيجية أيضا، في إطار التغيير المنشود، الانتقال بالتربية والتكوين والبحث العلمي، من منطق التلقين والشحن والإلقاء السلبي، إلى منطق التعلم والتعلم الذاتي، والتفاعل الخلاق بين المتعلم والمدرس، وتنمية الحس النقدي وروح المبادرة، والارتقاء بالمجتمع المغربي من مجتمع مستهلك للمعرفة، إلى مجتمع لنشر المعرفة وإنتاجها، عبر تطوير البحث العلمي والتقني والابتكار، والإسهام في تعزيز موقع المغرب في مجتمع المعرفة وفي مصاف البلدان الصاعدة.

كما نصّت الرؤية الاستراتيجية في الرافعة الثانية عشرة⁴ على "تطوير نموذج بيداغوجي قوامه التنوع والانفتاح والنجاعة والابتكار"⁴ على اعتبار المتعلم محور الفعل التربوي وفاعلا أساسيا في بناء تعليماته، وتنمية ثقافة الفضول الفكري وروح النقد والمبادرة، والبحث والابتكار لديه.

كما جاء في هذه الرافعة بالنسبة للتعليم الإعدادي مثلا، ترسيخ وتوطيد كفايات ومهارات الفهم والتحليل والاستدلال والتعليق والتخاطب... وهي أمور تدخل بشكل صريح في باب تنمية التفكير النقدي للمتعلم.

¹- ينظر: رؤية استراتيجية للإصلاح 2015-2030، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، المملكة المغربية، ص: 8.

²- ينظر: المصدر نفسه، ص: 8.

³- ينظر: المصدر نفسه، ص: 9-10.

⁴- ينظر: المصدر نفسه، ص: 34.

رابعا: القانون الإطار

يسعى القانون الإطار إلى إرساء مدرسة جديدة مفتوحة أمام الجميع، تتوخى تأهيل الرأسمال البشري، مستندة إلى ركني المساواة وتكافؤ الفرص من جهة، والجودة للجميع من جهة أخرى، بغية تحقيق الهدف الأسمى المتمثل في الارتقاء بالفرد وتقديم المجتمع¹.

جاء في المادة الثانية من الباب الأول، والتي تتعلق بتحديد بعض المصطلحات، تعريف "الجودة" على أنها "تمكين المتعلم من تحقيق كامل إمكانياته عبر أفضل تلك للكفايات المعرفية والتواصلية والعلمية والعاطفية والوجدانية والإبداعية"². فلا شك أن التفكير النقدي يؤدي دورا فاعلا في تعزيز هذه الكفايات، من خلال تنمية قدرة المتعلم على تحليل المعلومات، وتقييم الأدلة، واستخلاص النتائج بشكل منطقي. فعندما يكتسب المتعلم مهارات التفكير النقدي يصبح قادرا على فهم وتنظيم المعرفة بشكل فعال. كما أن التفكير النقدي يعزز من مهارات التواصل لدى المتعلم، لأنه يعلمه كيف يعبر عن آرائه بطريقة منطقية ومدعومة بالحجج والبراهين. إلى جانب ذلك فهو يمكنه من تقييم الأدلة العلمية، واتخاذ قرارات مبنية على تحليل دقيق. ومن جهة أخرى، فإنه ليس حكرا على ما هو علمي ومنطقي، بل يتعدى ذلك إلى التأمل في مشاعر الذات وآرائها، فمن خلاله يمكن التفاعل بشكل أعمق مع خوالج الذات ومكوناتها، كما أن هذا التفكير يعدّ منطلقا متينا لتنمية الجانب الإبداعي، إذ يسمح له بالتفكير خارج الصندوق وتقديم أفكار مبتكرة.

يظهر جانب العناية بالتفكير النقدي أيضا في تحديد مفهوم "التعلم مدى الحياة" الذي يتجاوز أسوار المؤسسة التعليمية إلى المحيط السوسيو-اقتصادي على أنه "كل نشاط يتم في أي لحظة من لحظات الحياة بهدف تطوير المعارف، أو المهارات، أو القدرات، أو الكفايات في إطار مشروع شخصي أو مهني أو مجتمعي"³.

وقد ورد في المادة الثالثة من الباب الثالث ما يدل على توجه السياسة التربوية نحو إيماء الجانب النقدي لدى المتعلم، بالنظر إلى المواصفات والمخرجات التي يُسعى إليها، إذ حدّد القانون الإطار ذلك في "تزويد المجتمع بالكفاءات والنخب من العلماء والمفكرين والمثقفين والأطر والعاملين المؤهلين للإسهام في البناء المتواصل للوطن على جميع المستويات، وتعزيز تموقعه في مصافّ البلدان الصاعدة...التشجيع والتحفيز على قيم النبوغ والتميز والابتكار...من خلال تنمية القدرات الذاتية للمتعلمين، وصقل الحس النقدي لديهم، وتفعيل الذكاء وإتاحة الفرص أمامهم للإبداع والابتكار، وتمكينهم من الانخراط في مجتمع المعرفة والتواصل"⁴.

¹- ينظر: القانون الإطار 51-17، ص: 2.

²- القانون الإطار 51-17، ص: 4.

³- القانون الإطار 51-17، ص: 5.

⁴- نفسه.

خامسا: النموذج التنموي الجديد

لقد جعل النموذج التنموي الجديد المتعلم في صلب منظومة التربية والتكوين، حيث بات من أهدافه "إرساء نظام للقيادة قائم على تحقيق الأهداف، ومركز أساسا على مستوى اكتساب المتعلمين للكفايات... وإرساء منظومة للتربية والتكوين توفر فرصا متنوعة أمام المتعلمين وممتاحة طيلة مراحل حياتهم، وتنهض بثقافة الامتياز"¹. من خلال جُمْل من الإجراءات، منها²: وضع إطار مرجعي للكفايات، مطابق لأفضل المعايير الدولية، وآلية لتقييم مكتسبات المتعلمين، مستوحاة من الاختبارات الدولية المعتمدة، على غرار الدراسة الدولية لتقويم تطور الكفايات القرائية (Pirls)³، ودراسة اتجاهات التحصيل في الرياضيات والعلوم على الصعيد الدولي (Timss)⁴... وتشجيع تعدد التخصصات وتنمية الحس النقدي والتفكير المنهجي وروح المبادرة...

تأسيسا على ما سبق، يتبين أن للتفكير النقدي جملة من المرجعيات في منظومة التربية والتعليم والتكوين بالمغرب، فكلها اتفقت على جعل المتعلم في صلب المنظومة التربوية، من خلال الرفع من جودة التعليمات، وتنمية الكفايات الأساس، التي تعدّ مدخلا لربط المؤسسة بمحيطها السوسيو-اقتصادي، وتطوير المناهج الدراسية، والتشجيع على الابتكار والإبداع والتواصل الفعال، وتحقيق التنمية المستدامة.

فلا شك أن جعل المتعلم محور العملية التعليمية-التعلمية والسعي إلى تنمية كفاياته الأساس... له علاقة وثيقة بالتفكير النقدي، إذ يصبح المتعلم نشطا ومسؤولا عن تعلمه، مما يساعده على تطوير مهارات التفكير النقدي لديه، مثل التحليل، والتقييم، والاستنتاج، وحل المشكلات، وهو ما يعزز تفكيره المستقل والمبدع، ويمكنه من تحقيق الارتقاء الفردي والاجتماعي المنشودين.

3- استراتيجيات تنمية التفكير النقدي:

لا مِرية في أن التفكير النقدي هو جملة من المهارات العقلية التي تُمكن الفرد من تحليل المعلومات والمعطيات وتقييمها بشكل منطقي وموضوعي، واتخاذ قرارات مدروسة بناءً على أدلة وحقائق، إنه في كلياته، مهارات يمكن تطويرها وتمييزها بالتربية والممارسة والنهج الصحيح.

¹-النموذج التنموي الجديد للمغرب، المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، ص: 65.

²-ينظر: النموذج التنموي الجديد للمغرب، المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، ص: 67.

³-PIRLS هي الدراسة الدولية لقياس مدى تقدم القراءة في العالم، تستهدف الصف الرابع الابتدائي، في مختلف الدول، تُعقد كل خمس سنوات،

ويعني هذا الاختصار: الدراسة الدولية لتقدم محو الأمية في القراءة Progress In International Reading Literacy Study

⁴-TIMSS هو أحد المؤشرات العالمية للتعبير عن جودة التعليم في مجالي الرياضيات والعلوم على مستوى العالم، ويعني: توجهات الدراسة الدولية

في الرياضيات والعلوم Trends In International Math And Science Study

- جاء في (مسرد المصطلحات التربوية): "تعليم التفكير Thinking Teaching: تعليم الطلبة كيف يوظفون المعرفة، والعمليات العقلية (كالتفكير الناقد والتفكير الإبداعي)، وما وراء العمليات العقلية (كالتخطيط والمراقبة والتقييم) في حلّ المشكلات واتخاذ القرارات التي يواجهونها في حياتهم، من خلال إدماجها في المواد والأنشطة الدراسية، أو تدريسها بشكل مستقل"¹. يدل هذا الحدّ وما جاء في توصيفه، على أن عملية التفكير لا تقف عند حدود امتلاك المعرفة، بل تتعدى ذلك إلى التوظيف الأمثل لها في سياقات مختلفة، يتم من خلال دمج مهارات التفكير ضمن المحتوى الدراسي والأنشطة التعليمية أو من خلال تدريسها بشكل مستقل لتعزيز قدرة المتعلمين على حلّ المشكلات بفعالية.

إن استنباط التفكير النقدي وتطويره لدى المتعلم، يتطلب تطبيق جملة من الاستراتيجيات العملية، التي تتغيا تنمية المهارات العقلية والتحليلية والقيمية... وقد ارتأيت أن أركز على أربع منها؛ لأهميتها وضرورتها ونجاحتها، وهي:

أولاً: التعامل مع "وضعيّات-مشكل" Problem-situations:

يقوم المنهاج الدراسي لمختلف المواد الدراسية على ثلاثة مداخل، هي: مدخل القيم، ومدخل التربية على الاختيار، ومدخل الكفايات، ولا شك أن تنمية الكفايات النوعية والممتدة يقوم أساساً على الوضعيات-المشكل، باعتبارها وضعيات ديدكتيكية تختبر قدرة المتعلم على مدى استعداداته للتعلّم، وعلى مدى تمكّنه من بناء تعلماته، وعلى التحقق من مدى قدرته على استدعاء الموارد المكتسبة (معارف، قدرات، مهارات، قيم، اتجاهات، ميولات، مواقف...) وتوظيفها بشكل فعال.

إن الوضعية-المشكل هي وضعية تعليمية، يختارها المدرس للمتعلم، تتسم بالتعقيد أو ما دونه، لا يملك المتعلم لها حلاً جاهزاً أو واضحاً، وهو ما يجعله في حيرة وعدم ارتّان، حيث تتخذ شكل سؤال محير أو مسألة مركبة أو تعليقات ترتبط بنصّ، أو قضية شائكة... الأمر الذي يحفز على البحث والتنقيب والتقصي، معبئاً ما لديه من موارد (معارف، مهارات،...)، قصد التوصل إلى حلّ ناجع.

إنها "وضعية تعلّمية تحفز الطلاب على الانخراط الفعلي في التعلّم، بنحو يسمح لهم باكتساب معارف جديدة عبر توظيف المعارف السابقة التي راكموها، وإحداث قطيعة معها في الآن نفسه، وذلك بتضمينها عائقاً يشعر فيه المتعلم أنه أمام موقف مشكل أو سؤال محير لا يملك عنه تصوراً مسبقاً، ويعتبر تجاوزه ضرورياً لحدوث التعلّم، وتعتبر الوضعية المشكّلة، في إطار المقاربة بالكفايات عنصراً مركزياً"². وإنما كانت كذلك

¹- مسرد المصطلحات التربوية، المركز الوطني لتطوير المناهج، ص: 10.

²-Dictionnaire Terminologique Unifié Des programmes scolaires et des Méthodes d' Enseignement.p117-118.

لمساهمتها في تطوير كفايات المتعلم ومهاراته، إذ إنها تشير إلى سياق (موقف تعليمي) يتيح له الفرصة لتوظيف بعض موارده، مما يجعل تعلمه ذا معنى.

ودعنا نتساءل هنا، كيف لحل المشكلات أن يساهم في تعزيز التفكير النقدي لدى المتعلم؟ فالجواب عن ذلك من أوجه، منها:

- إن تعامل المتعلم مع وضعيات-مشكل يدفعه إلى استدعاء ما يتناسب مع كل وضعية من موارد، فتجده يستخدم المنطق والتفكير لاختيار الأنسب من القدرات، والمعارف، والمهارات، والقيم. وهو ما يطور لديه مهارات التفكير المنطقي والمنهجي.

- يدرّبه على التعامل مع مواقف متنوعة يجد صداها في حياته، فمن خلال حلّ المشكلات، يكتسب المتعلم كيفية اتخاذ قرارات مدروسة بناء على تحليل منطقي، مما يسهل عليه التعامل مع مواقف متنوعة في حياته، كما يمكنه من ابتكار حلول تتناسب مع المتغيرات المستجدة. وهكذا، فإن "التعليم من خلال المشكلة يكسب الطلبة معلومات ومهارات حياتية؛ لأنهم يتعلمون من خلال العمل وفي مواجهة مواقف واقعية... وهكذا، يمكننا اعتبار المشكلة... طريقة منظمة يقوم من خلالها الطلبة بالتفكير بحل مشكلة يشعرون بوجودها وبحاجتهم إلى حلّها"¹.

- يعزز حل الوضعيات-المشكل الثقة بالنفس لدى المتعلم، فمع كل وضعية-مشكل يتم حلها بنجاح، يكتسب المتعلم ثقة أكبر في قدراته على التعامل مع مواقف مشابهة في المستقبل، مما يركي لديه الشعور بامتلاك الكفاءة اللازمة على إدارة تحديات الحياة المدرسية والحياة عامة.

- توظيف بعض التقنيات التي تستغل بالوضعية-المشكل، كتقنية العصف الذهني Brainstorming، التي تنطلق من وضعية-مشكل، وهي على وجه التحديد "عملية توليد وإنتاج أفكار وآراء ووجهات نظر من مجموعة من الأفراد يتراوح عددهم بين 8-12 فرداً، لحل مشكلة معينة، ويُسمح لهم فيها بإبداء آرائهم دون تعليق أو اعتراض أو سخرية، وتستمر حوالي ربع ساعة، تسجل فيها جميع الأفكار المطروحة، ومن ثمّ يتم تقييم هذه الأفكار، واختيار المناسب منها لحلّ المشكلة"².

¹- استراتيجيات التدريس في القرن الحادي والعشرين، ذوقان عبيدات وسهيل أبو السميد، دار الفكر ناشرون وموزعون، الأردن - عمان، ط3: 1435هـ/2014م، ص: 174.

²- مسرد المصطلحات التربوية، المركز الوطني لتطوير المناهج، ص: 16.

ثانيا: "الأسئلة الهادفة": Purposeful Questions

لا شك أن الطرح الهادف للأسئلة يعدّ من الأدوات التعليمية الأساس التي تساهم في تطوير التفكير النقدي لدى المتعلمين. فالأسئلة لا تقتصر على كونها وسيلة لقياس المعلومات والمعارف، بل تعدّ آلية فعالة لتنمية مهارات التفكير والتحليل...، سواء كان واضعها الأستاذ، في إطار بناء الوضعيات الديدكتيكية المختلفة وتدريبها وتقويمها، أم المتعلم، في إطار الاستفهام عن تعلّماته أو ما يرتبط بها من جزئيات أو كليات.

إن وضع الأسئلة الهادفة يعني لدى المتعلم الروح النقدية والقدرة التحليلية والتقييمية؛ إذ إن عناية المدرس بوضع الأسئلة الهادفة¹، وصياغتها، وفق ما يقتضيه الدرس من أهداف وكفايات، يشجع المتعلمين على التفكير بشكل أعمق، وحينما يتم طرح سؤال محفّز، يضطر المتعلم إلى البحث عن إجابة مدروسة، مما يعزز قدراته على فحص المعلومات وتحليلها ومقارنتها بنظيراتها، بدلا من مجرد حفظها وترديدها.

ومن جانب آخر، فإن وضع الأسئلة الهادفة يعزز الفضول وحس الاستكشاف، فحينما يُطلب من المتعلمين الإجابة عن أسئلة محددة بشكل هادف، أو صياغة أسئلة في موضوع ما، فإن ذلك يبيّن لديهم الفضول والشغف لمعرفة الحقيقة التي يخبئها السؤال، وحينها، يتحول السؤال من مجرد أسلوب إنشائي طلي إلى المعرفة في حد ذاتها، لا باعتباره مجرد وسيلة موصلة إليها، بل باعتباره هدفا ساميا منشودا مبعثا.

إن الأسئلة الهادفة تعزز لدى المتعلم الرغبة في المشاركة والتعلم النشط، إذ يتحول السؤال إلى مادة دسمة للنقاش والجدال والأخذ والرد والقبول والرفض وبناء التصورات وتصحيح التمثيلات وخلق جو دينامي تحكمه روح التفكير النقدي، عموديا (المدرس-المتعلمون) وأفقيا (المتعلمون فيما بينهم). فقد جاء في كتاب (التدريس المتمركز حول المتعلم) عن الطلاب المتفوقين أنهم "يطرحون أسئلة تُوقّر أسرع الطرق للتخلص من الجهل واكتساب المعرفة"². أي الانتقال من المعرفة في صورتها البسيطة إلى المعرفة في صورتها العميقة.

- إن طرح الأسئلة الهادفة، يسهم، في بناء شخصية المتعلم الفكرية، من خلال التحفيز على التفكير العميق في مختلف الأمور، والتعلم الذاتي، وبناء التصورات، وإبداء الرأي، ومناقشة آراء الآخرين بالإجابة والإضافة والتعقيب والتعليق، والتواصل الفعال في مختلف المواقف التعليمية.

¹- ربط الأسئلة بتصنيف بلوم للمجال المعرفي مثلا: أسئلة للتذكر، أسئلة للفهم، أسئلة للتطبيق، أسئلة للتحليل، أسئلة للتركيب، أسئلة للتقويم.

²- التدريس المتمركز حول المتعلم: خمس تغييرات أساسية في عملية التدريس ماريلينو، ترجمة رشا صلاح الدخاخي، الناشر مؤسسة هندواي، دط: 2019، ص: 306.

مهما يكن، فإن الأسئلة الهادفة لا تقتصر على تقييم المعرفة، بل تتعدى ذلك إلى التحفيز على التفكير النقدي، وتعزيز الفهم العميق للمفاهيم، وتطوير مهارات البحث والتحليل، إنها بمثابة محرك أساسي في عملية التعلم، التي تركز على المتعلم باعتباره فاعلا في بناء تعلماته، مما يسهم في تطوير قدراته ومهاراته وقيمه واتجاهاته...

ثالثا: "الاستنباط والاستقراء" Deduction And Induction

لا شك أن ثنائية الاستنباط والاستقراء من الآليات المنهجية المهمة التي يستند إليها المدرس في التخطيط والتدبير والتقييم، وكذا المتعلم في اكتساب المعارف والقدرات والمهارات وغيرها في مختلف المواد الدراسية.

إن الاستنباط (أو الطريقة الاستنباطية) هو "عملية ينطلق بموجبها الأستاذ من العام إلى الخاص، أي من القاعدة مباشرة ثم يعطي الأمثلة، وهي صورة من صور الاستدلال، حيث يكون سير الدرس من الكل إلى الجزء..."¹. يشير هذا الحد إلى أن الاستنباط عملية استدلالية ينتقل فيها المدرس من مبدأ عام أو قاعدة شاملة إلى أمثلة خاصة، تدخل ضمن هذا المبدأ أو القاعدة.

تمثل أهمية الطريقة الاستنباطية في تنمية التفكير النقدي في عدة جوانب رئيسة، منها:

- تعزيز القدرة على التحليل والتقييم، ذلك أن التدرج من العام إلى الخاص يحفز المتعلم على تمحيص مدى صحة الأمثلة المتفرعة عن القاعدة، مما يعزز قدرته على تقييم دقة الاستنتاجات والأمثلة بناء على المبادئ العامة.

- تنمية التفكير المستقل، فمن خلال الطريقة الاستنباطية يصير بمقدور المتعلم التفكير بشكل مستقل، حيث يدرك العلاقة التي تربط العام بالخاص، دون الحاجة دائما إلى التوجيه والإرشاد.

- لا تقتصر الطريقة الاستنباطية على المدرس لوحده، بل تتعلق بالمتعلم أيضا، من جهة كونه متلقيا ومرسلا، ذلك أن المتعلم يتلقى المبدأ العام أو القاعدة... التي يعرضها المدرس، والتي تعدّ مصدرا للمعلومات التي يجب أن يفهمها، في هذه المرحلة يكون المتعلم في دور المتلقي الذي يستقبل المعرفة، ويبدأ في فهم الأسس والمفاهيم التي يقوم المعلم بتوضيحها. وبعد استيعابه للقاعدة أو المبدأ... يبدأ في تطبيقها على أمثلة أو مواقف معينة، ويعبر عن فهمه الخاص، من خلال تقديم أمثلة أو حلول تتوافق مع القاعدة العامة، في هذه المرحلة يتحول المتعلم إلى دور المرسل، الذي يوظف ما تعلمه لتقديم استنتاجات أو تطبيقات عملية، مما يعكس مدى استيعابه وفهمه.

¹-Dictionnaire Terminologique Unifié Des programmes scolaires et des Méthodes d' Enseignement. P29.

وعليه، فإن الطريقة الاستنباطية، هي فرصة يتفاعل من خلالها المتعلم مع المدرس والمحتوى بشكل حيوي، حيث يبدأ متلقياً للمعلومة العامة، ثم يتحول إلى مرسل يعبر عن معرفته من خلال أنشطة أو تطبيقات خاصة، هذه الثنائية (الاستقبال-الإرسال) تسهم في تعميق فهمه وتعزيز التفكير النقدي لديه.

أما الاستقراء (أو الطريقة الاستقرائية) فهو "طريقة مهمة من طرق التدريس محورها المعلم والمتعلم معا، وتعتبر من أفضل الطرق التعليمية التي لا يُستغنى عنها في المراحل الدراسية المتنوعة، حيث يرقى فيها العقل عادة من الخاص إلى العام، ومن المعلول إلى العلة، ومن الوقائع الخاصة والمتفرقة إلى القاعدة أو النظرية العامة، فالباحث ينطلق من ملاحظة الأشياء وتفاعلاتها ليستنبط الأحكام والنتائج التي تترتب عنها"¹.

تقوم هذه الطريقة على الانتقال من الجزء إلى الكل، حيث يبدأ البحث عادة من أجزاء منفصلة أو مواقف خاصة، إذ يلاحظ المتعلمون الظواهر، مما يمكنهم من وصفها ومقارنة بعضها ببعض وتحليلها للوصول إلى قواعد عامة أو نظريات شاملة جامعة لها. يقوم المدرس بدور الموجه والميسر، الذي يساعد المتعلمين على ملاحظة الظواهر وترتيب المعلومات والاستنتاج. أما المتعلم، فيكون نشطاً في هذه الطريقة، حيث ينطلق من توجيه المدرس، ليلاحظ ويحلل ويقارن، من أجل استخلاص القواعد العامة.

إن هذه الطريقة لها من الأهمية ما لها في تنمية التفكير النقدي، حيث إنها تمكن المتعلم من الوصول إلى استنتاجات، اعتمد فيها على الملاحظة والوصف والمقارنة والتحليل وغيرها. كما أن هذه الطريقة تعزز الفهم العميق لدى المتعلم، حيث يدرك العلاقة الوطيدة بين القاعدة العامة والأجزاء الداخلة في كنفها. إلى جانب ذلك، فهي تشجعه على المضي قدماً نحو بناء ذات مستقلة في تفكيرها، مادام هو الذي يلاحظ ويصف ويقارن ويحلل ويستنتج ويطبق.

مهما يكن، فإن الطريقتين الاستنباطية والاستقرائية لها أهمية كبيرة في تنمية القدرة على الاستدلال والبرهنة والاستنتاج، والتي تعزز بدورها التفكير النقدي لدى المتعلم، وتمكنه من تحقيق أعلى درجات الفهم وربط الأشياء بعضها ببعض، في تصور متكامل وبناء وشامل.

وقد تصور جون ديوي أنها يمثلان المنهج العلمي الفعلي، في سياق نقده للمنهج الأرسطي، حيث يقول: "إن أفكارنا التقليدية، والتي لا تزال سائدة، عن الاستقراء والاستنباط، مستمدة من المنطق الأرسطي، الذي كان في عصره...تنسيقاً للصور المنطقية على أساس اعتقادات معينة في حقيقة الوجود وما له من نوااميس، ومادام التقدم الفعلي الذي طرأ على البحث العلمي قد أدى بنا إلى نبذ هذه الاعتقادات الأساسية فيما يخص

¹-Dictionnaire Terminologique Unifié Des programmes scolaires et des Méthodes d' Enseignement. P61.

بناء (الطبيعة)، جاز لنا أن نتوقع قبل البداية أن نجد أفكارنا عن الاستقراء والاستنباط المستمدة من المنطق الأرسطي، غير ذات صلة بالمنهج العلمي، كما يمارسه العلماء ممارسة فعلية"¹.

فهو من جانب يؤكد أنه، مع تقدم البحث العلمي وتطور منهجية الفحص والتجريب، أصبح من الممكن تجاوز هذه المعتقدات التقليدية، ولذلك لا يعدّ المنطق الأرسطي أساساً مناسباً لفهم أساليب الاستقراء والاستنباط الحديثة، التي يعتمد عليها العلماء في ممارستهم الفعلية للمنهج العلمي. ومن جهة أخرى، يؤكد الأهمية التي يحظى بها الاستقراء والاستنباط في المنهج العلمي، الذي يعدّ من سبل تنمية التفكير النقدي.

رابعاً: "الانتباه والتركيز" Attention And Focus

يُعرّف الانتباه على أنه "تكيّف حسيّ ينجم عن حالة قصوى من التنبيه أو حدوث تكيف في الجهاز العصبي لدى الكائن الحي"². وهو ما يعني أن الانتباه هو عملية حسية تحدث استجابة لتحفيز قوي أو مستمر، حيث يتكيف الجهاز العصبي مع هذا التحفيز عن طريق تعديل استجابته، بحيث يصبح أكثر تركيزاً على المحفزات المهمة، مما يساعد الكائن الحي على التعامل بفعالية مع البيئة المحيطة به.

قد يبدو للوهلة الأولى أنه ليس هناك أيّ علاقة تربط الانتباه والتركيز بالتفكير النقدي، ولكن حيناً ندقق في الأمر نجدهما من مستلزماته وشروطه الضرورية، إذ إنها من العمليات النفسية الأساس، التي تؤدي دوراً بارزاً في تحسين نشاط التعلم، حيث إن المتعلم حيناً يتمكن من توجيه انتباهه بشكل دقيق ومستمر في مختلف المواقف الديدكتيكية، فإنه يعزز قدرته على معالجة المعلومات بشكل فعال ومنتج، علاوة على ذلك، يقترن الانتباه والتركيز اقتراناً لزوماً بتطوير مهارات التفكير النقدي، التي تعد ضرورية لحلّ المشكلات، وبناء الاستنتاجات، واتخاذ القرارات المنطقية والعلمية في مختلف السياقات التعليميّة،

لا شك أن للانتباه والتركيز أهمية كبيرة، فهما يحسنان استيعاب المتعلم لمختلف الموارد، فعندما يتمكن المتعلم من الحفاظ على تركيزه لفترات طويلة، فإنه يزداد قدرة على استيعاب المعلومات المعقدة وتخزينها في الذاكرة، واكتساب القدرات والمهارات والقيم والاتجاهات... اللازمة.

إن عملية التفكير النقدي تتطلب مما تتطلبه مستوى عالياً من الانتباه والتركيز؛ فبدونها لا يمكن للمتعم أن يوجه موارده العقلية بشكل مناسب لتحليل الأفكار والمعلومات والمعطيات المتعلقة بالوضعية-المشكل المطروحة، كما أن الانتباه يساعد على تقليل التششت وتوجيه الجهد العقلي نحو التفكير المنظم والبناء والمنطقي.

¹-المنطق: نظرية البحث، جون ديوي، ترجمة وتصدير وتعليق زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، سلسلة ميراث الترجمة، العدد 1653،

د ط: 2010، ص: 650.

²-موسوعة علم النفس، أسعد رزوق، دار فارس عمان-الأردن، ط4: 1992، ص: 47.

فلا ريب بعد هذا أن نقول، إن المتعلمين الأكثر انتباها وتركيزا أكثر قدرة على تنمية واستثمار التفكير النقدي، سواء في سياق التلقّي أم الإرسال. ويظهر هذا الأمر بقوة، حينما يواجه المتعلم وضعية-مشكل معقدة، لم يسبق له أن واجه شيئا لها، سواء في إطار التعلم أو في إطار التقويم، ما يستلزم منه استحضارا عاليا للانتباه والتركيز، وهنا بالضبط، يتميز متعلم عن متعلم، بقدرة كلّ واحدٍ على الانتباه والتركيز في طبيعة الموارد اللازمة لحلها بفعالية، وتأمّل مختلف الأسناد المدرجة فيها، ومختلف التعليقات، والعلائق التي تربط بين عناصرها. وإذا كان للانتباه¹ والتركيز من الأهمية ما ذكر وزيادة، فلا يعني هذا البتة الوصول إلى درجة الإجماع الذهني، الذي قد يأتي بنتائج عكسية تماما، إنما المرادُ حفز المتعلمين على توجيه انتباههم وتركيزهم نحو فعل التعلم بما يتناسب والمستوى الذي يدرسون فيه، مع مراعاة الفوارق الفردية بينهم، ولكن الأكيد أن العناية بالانتباه والتركيز ستسهم لا محالة، في تطوير ذاتهم وتقوية مهارات التفكير النقدي لديهم.

لا مرية بعد هذا، أن نقول: إن هذه الاستراتيجيات الأربع، على وجه الخصوص، لها الأهمية الكبيرة والبالغة في تكوين متعلم قادر على امتلاك التفكير النقدي اللازم لبناء كفاياته التواصلية والمنهجية والثقافية والاستراتيجية والتكنولوجية، وعلى التمكن الحقيقي من حلّ مختلف الوضعيات-المشكل والمركبة، سواء كانت ذات طابع تعليمي أم تجريبي أم تدخل ضمن الممارسة المهنية.

خاتمة:

يخلص هذا المقال إلى جملة من النتائج، نبينها كما يأتي:

- لقد أولى النظام التربوي المغربي أهمية كبيرة لتنمية التفكير النقدي لدى المتعلم، وقد ظهر ذلك جليا في توجّهات الميثاق الوطني للتربية والتكوين، والرؤية الاستراتيجية وغيرها من الإصلاحات، حيث تم الحرص على تعزيز التفكير النقدي باعتباره مهارة رئيسة، تمكن المتعلم من التحليل والتقييم الموضوعي والاستدلال، وبناء الذات المستقلة القادرة على اتخاذ القرارات المناسبة، وتحمل المسؤولية في المستقبل، لتحقيق الرقي الفردي والتقدم الاجتماعي، باعتبارهما المبتغى، والتكيف مع تقلبات العصر وتحولاته وتحديات المستقبل. وهو ما يعني أن العناية بهذا النمط من التفكير ليست مسألة بسيطة أو ترفا فكريا، بل هي قضية جوهرية، تتعلق بتكوين الفرد ومستقبل المجتمع المغربي وتطوره باعتباره بلدا صاعدا، يصبو إلى الاصطفاف إلى جانب البلدان المتقدمة.

¹ - تذبذب الانتباه: هو تحول الانتباه عن موضوع ما أثناء القيام بعمل ما، بحيث يؤثر ذلك في نتائج ذلك العمل. ينظر: معجم مصطلحات التربية والتعليم، محمد حمدان، ص: 34.

- إن التفكير النقدي يشكل بحق حجر الزاوية في بناء مجتمع قادرٍ على مواجهة التحديات المتزايدة والمتنوعة في عالم من سماته الأساس التقلب والتغير وتبدل الحال، حيث تتسارع المعلومات وتتعدد مصادرها ومواردها، فيصبح من الضروري امتلاك الأفراد القدرة على تحليل هذه المعلومات وتقييمها بشكل نقدي. كما أن تعزيز التفكير النقدي لدى المتعلمين، سيمكن، لا محالة، من بناء مواطن قادر على تحمل المسؤولية واتخاذ القرارات الواعية والمناسبة في مختلف المجالات، وتجاوز الإشكالات بطرق مبتكرة. وهو ما يؤكد أن العناية بهذا النمط من التفكير ليست مجرد مسألة تربوية، بل هي قضية استراتيجية، تتعلق بحاضر المجتمع ومستقبله.

- إن تنمية التفكير النقدي لدى المتعلم تقتضي مجموعة من الاستراتيجيات الضرورية واللازمة، والتي تتجاوز أساليب التعليم التقليدي، الذي جعل التلقين والحفظ أكبر همة، منها: التعلم بالوضعية-المشكل، ووضع الأسئلة الهادفة، والتعليم والتعلم بالاستقراء والاستنباط، وحفز جانب الانتباه والتركيز، ذلك كله في إطار المقاربة بالكفايات، التي أثبتت جدواها وفعاليتها ونجاحها في تدريس مختلف المواد الدراسية، باعتبارها أحد المداخل الثلاثة للمناهج الدراسي، إلى جانب التربية على القيم والتربية على الاختيار.

- إن الاشتغال على استراتيجيات الوضعية-المشكل، والأسئلة الهادفة (من المدرس و المتعلم)، والاستنباط والاستقراء، والانتباه والتركيز، هو سعي إلى تفويض أكبر قدرٍ من المسؤولية للمتعلم، فهو المسؤول الأول عن تعلماته، حيث ينبغي أن يتعامل مع مختلف الوضعية-المشكل، وأن يفهم مقصد المدرس من أسئلته الموجهة، وأن يكون قادرا في الآن نفسه على وضع الأسئلة العميقة التي تقوده إلى تعميق قدرته على الفهم والتحليل والتركيب والتقييم والتقويم، كما عليه أن يمتلك أكبر قدر من الانتباه والتركيز، سواء في حال تعلمه (وضعية ديدكتيكية) أم في حال تقويم تعلماته (التعامل مع وضعية-مشكل، وضعية مركبة...).

- إن التركيز على هذه الاستراتيجيات وغيرها في تنمية الجوانب الفكرية والنقدية لدى المتعلم غير كافٍ، حيث يتطلب الأمر التخطيط الجيد والتدبير الرصين والسعي الحثيث نحو تنمية الكفايات النوعية والممتدة، والتجديد في المناهج والبرامج الدراسية وطرق التدريس وأساليبه، ودمج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات متى اقتضى الأمر ذلك، وتفويض مسؤولية التعلم للمتعلم متى تيسر ذلك.

لائحة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية

- استراتيجيات التدريس في القرن الحادي والعشرين، ذوقان عبيدات وسهيلا أبو السميد، دار الفكر ناشرون وموزعون، الأردن-عمان، ط3: 1435هـ/2014م.
- البرنامج الاستعجالي، المملكة المغربية وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي.
- التدريس المتمركز حول المتعلم: خمسة تغييرات أساسية في عملية التدريس ماريلين وايمر، ترجمة رشا صلاح الداخني، من منشورات مؤسسة هنداوي، دط: 2019.
- التفكير النقدي، جوناثان هابر، ترجمة إبراهيم سند أحمد، سلسلة المعارف الأساسية، الناشر مؤسسة هنداوي، ط1: 2022.
- التقرير التحليلي: تطبيق الميثاق الوطني للتربية والتكوين 2000-2013، المكتسبات والمعوقات والتحديات، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، الهيئة الوطنية لتقييم منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، دجنبر 2014.
- دستور المملكة المغربية 2011، المملكة المغربية، وزارة العدل، المركز الدراسات وأبحاث السياسة الجنائية.
- رؤية استراتيجية للإصلاح 2015-2030، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، المملكة المغربية.
- القانون الإطار 17-51.
- مسرد المصطلحات التربوية، المركز الوطني لتطوير المناهج.
- معجم مصطلحات التربية والتعليم، محمد حمدان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ط1: 1428هـ/2007م.
- المنطق الصوري: من أرسطو حتى عصورنا الحاضرة، علي سامي النشار، دار المعارف، ط4: 1966.
- المنطق: نظرية البحث، جون ديوي، ترجمة وتصدير وتعليق زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، سلسلة ميراث الترجمة، العدد 1653، دط: 2010.
- موسوعة علم النفس، أسعد رزوق، دار فارس عمان-الأردن، ط4: 1992.
- الميثاق الوطني للتربية والتكوين، المملكة المغربية.
- النموذج التنموي الجديد للمغرب، المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي.

- وجهة نظر المجلس الأعلى للتعليم في البرنامج الاستعجالي المتقدم من قبل القطاعات المكلفة بالتربية والتكوين، المملكة المغربية، المجلس الأعلى للتعليم، أكتوبر 2008.

المراجع باللغة الأجنبية

- Critical Thinking A Students Introduction.Gregory Bassham and others. Fourth edition.Mc Grow Hill.
- Dictionnaire Terminologique Unifié Des programmes scolaires et des Méthodes d' Enseignement. Organisation Arabe pour l'Education la Culture Et les sciences. Bureau Of Coordination Of Arabization-Rabat. Serie 44. 2020.
- How We Think. John Dewey.D.C.Heath.Publishers.Boston New york Chicago.1910.
- Logic And Critivcal Thinking.teklay G, Adane T, And Zelalem M. August 2019. AddisAbaba, Ethiopia.